

الحكاية الشعبية القبائلية (ماشهو) في ظل مواقع التواصل الاجتماعي

The tribal folk tale (Mashhu) in light of social networking sites

- الأستاذة: ربعة رميشي

جامعة مولود معمري - تيزي وزو

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية الى دراسة الحكاية الشعبية القبائلية (ماشهو) في ظل مواقع التواصل الاجتماعي ، كما هو معروف أن الحكاية الشعبية ماهي الا موروث ثقافي لامادي يعبر عن النسيج الاجتماعي القائم في المجتمع والمجتمع القبائلي غني بمثل هذه الحكايات يعبر عن نظامه الاجتماعي الواقعي وظروفه المعيشية في شكل حكايات تروى للأطفال عن طريق الأجداد، ويكون هذا الفعل قبل النوم في وقت معين اعتادوا عليه، قبل البدء في الحكاية تلفظ الجذات كلمة ماشهو والاطفال يرددون بكلمة آهو كانت لهذه الممارسة طعمها الاجتماعي تساهم حتى في عملية التنشئة الاجتماعية وتهدئة أعصاب والنوم المبكر للأطفال، وكما تتناول مواضيع مختلفة تمس كل الجوانب المتعلقة بحياة ذلك المجتمع، فهي أداة اتصالية فعالة لتثبيت قيم المجتمع وعاداته وأصوله تنسج مواضيعها على شكل روايات مشفرة برموز في مختلف الصور سواء كانت حيوانية أو كرامات انسانية والتي تحمل معاني قوية وهادفة. لكن مع الواقع التكنولوجي اليوم أصبحت تقاليد الحكاية الشعبية تندثر شيئا فشيئا، إذ عوضتها وسائل اتصالية أخرى ومن مختلف المشارب الداخلية والخارجية يخرق المجتمع الواحد والقرية الواحدة... في شكل حكايات عالمية. وتعتبر مواقع التواصل الاجتماعي من بين هذه الوسائط الاتصالية التي ساهمت في شبه اندثار هذه الحكايات الشعبية القبائلية واهتمام الأفراد بهذه المواقع وتوجهاتهم إليها عمل على ابتعادهم عن هذا الإرث الثقافي اللامادي للمجتمع القبائلي

- الكلمات المفتاحية: الحكاية الشعبية، الحكاية الشعبية القبائلية (ماشهو)،

مواقع التواصل الاجتماعي.

Abstract;

This research paper aims to study the kabyl folk tale (Mashho) in the light of social networking sites, as it is known that the folk tale is nothing but an intangible cultural heritage that expresses the existing social fabric in society and kabyl society is rich in such tales that expresses its realistic social system and conditions Living in the form of tales told to children by grandparents, and this act is before bedtime at a certain time that they are accustomed to. And as it deals with various topics that touch on all aspects related to the life of that community, it is an effective communication tool to establish the values, customs and origins of the community, weaving its topics in the form of narratives encoded with symbols in various images, whether they are animals or human dignity, which carry strong and purposeful meanings, but with the technological reality today, traditions have become The folk tale is slowly disappearing, as it has been replaced by other means of communication, and from various internal and external trends, it is violating the same community and one village. E.... in the form of global tales. Social networking sites are among these communication media that contributed to the almost extinction of these kabyl folk tales, and the interest of individuals in these sites and their orientations to them worked to keep them away from this immaterial cultural heritage of kabyl society.

- **Keywords**Folk tale, kabyl folk tale (Mashho), social networking sites

المقدمة:

الحكاية الشعبية هي إحدى الوسائل التي تحافظ على الإرث الثقافي وترسيخ الهوية الثقافية ومن أهم الأشكال التعبيرية، وهي خلاصة تجارب الأجيال مصوغة في قالب قصصي مشوق زاخر بالعبر والقيم النبيلة وهي من إبداع الخيال تتجلى فيها حكمة المجتمع، فهي مرآة عاكسة للمجتمع الذي نبتت فيه.

وتعتبر الحكاية الشعبية أحد أجناس الأدب الشعبي المحببة للكبار والصغار وذلك لما تتضمنه من عناصر الجذب والتشويق وإثراء للخيال بالإضافة إلى ما تتضمنه من قيم إيجابية.

تطرقت صحيفة العرب إلى قول محمد الجوهري في قوله عن الحكاية الشعبية أنها تعد جزءا من موروثنا الشعبي وخلاصة إفرات لتفاعلات الناس مع ظروف الحياة التي عاشها الإنسان، حيث كانت هذه الحكايات إحدى الدعائم المهمة في صقل شخصية الطفل. فقد كانت كل قصة تهدف إلى قيمة يتم غرسها في نفوس الأبناء ليصيروا رجالا قادرين على تحمل المسؤولية، ومواجهة ظروف الحياة المتغيرة وكذلك إعداد نساء يعتمد عليهن، في بناء الأسرة المستقبلية ضمن التحديات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة.

فالحكاية الشعبية إذن هي ذلك الموروث المجتمعي التي تناقلها الناس عن طريق الرواية الشفوية منذ القدم ويؤثر الخيال الشعبي في صياغتها، حسب توجهاته وعند حدود الحياة اليومية والأمور الدنيوية (الحكاية الشعبية الخطر الذي يجب الانتباه إليه، الاحد 26 سبتمبر 2021 بالتصرف).

والحكاية الشعبية كذلك تراث وفن وشكل من أشكال التعابير الشفوية، تحمل في محتواها مخزونا ثقافيا من إنتاج جماعي مرتبط بالذاكرة الفردية والجماعية للمجتمع، يعكس الواقع المعيشي والحياة اليومية للفرد من خلال تصويره لأحداث المجتمع وتعكس لنا مواقفه.

تختلف تسمية الحكاية الشعبية حسب اللهجات في المناطق الجزائرية، في المناطق القبائلية تطلق عليها اسم ثيموشوها والتارقية باسم تنقسث، ورغم الاختلاف في التسمية إلا أن عنوانها يحدد بأهم العناصر البارزة في الحكاية كاسم البطل أو حادث من حوادثها.

من قوة ما تقدمه الثقافة الشعبية للأجيال عن حياة المجتمع وأحواله، وطريقة انتقال هذا الموروث الشفهي لهم منذ الأزل أعطى اهتمام كبير للباحثين في هذا المجال عبر العالم خاصة في ألمانيا وروسيا الباحث يوري وسوكولوف، إذ قام المستشرقون بمجهودات كبيرة في الربع الثاني من القرن التاسع عشر في هذا المجال حيث سجلوا حضورا كبيرا، في التدوين والبحث عن التراث الشعبي وكانوا يسجلون أعمالهم وأبحاثهم في مذكراتهم ودفاتر خاصة بهم، ونفس الشيء للعالم العربي إذ نجد باحثين أمثال نبيلة إبراهيم، وأروى عبده، أعطوا اهتماما كبيرا نظرا لأثر الحكاية الشعبية في الجانب النفسي والاجتماعي للفرد. (الجوهري، الحكاية الشعبية، 2021).

ومن هؤلاء الباحثين أيضا، نجد يوسف نسيب الذي ألف "حكايات جزائرية من جرجرة"، وزينب علي بن علي التي ألقت "حكايات قبائلية"، إلا أنّ مع التغيرات الحاصلة في المجتمع خاصة الجانب التكنولوجي كان له تأثير كبير على مستقبل الحكاية القبائلية (ماشهو)، فكان لهذا المجال دور كبير في تدوين الواقع ونقله للأجيال اللاحقة. إذ عملت التكنولوجيا ووسائلها الاتصالية في فرض نفوذها وقوتها داخل المجتمع ولم يسلم أي بيت جزائري من أثرها وقوة الجذب لديها وأصبح تقريبا كل أفراد الأسرة لديهم وسيلة تكنولوجية كالهاتف الذكي الذي يعد وسيلة اتصالية ضرورية لا يستطيع الصغير أو الكبير الاستغناء عنها، فتجدهم يقضون معظم أوقاتهم مع هذه الوسيلة في تشكيل أصدقاء وزملاء عبر واقعهم الافتراضي في مختلف مواقع التواصل الاجتماعي بعدما كانت الحكاية الشعبية في وقت ما منفذ للأفراد ترويها الجدّات للأحفاد، واليوم تغير الواقع وأصبحت مواقع التواصل الاجتماعي ملاذ هؤلاء الأحفاد وبدون منازع.

1- أهداف الدراسة:

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى ذكر واقع الحكاية الشعبية القبائلية (ماشهو) من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، بمعنى كيف أثرت مواقع التواصل الاجتماعي على مكانة الحكاية الشعبية (ماشهو) في زمننا هذا؟ وهل الحكاية الشعبية كموروث لامادي اندثرت مع ظهور مواقع التواصل الاجتماعي وأصبح الأفراد حقا لا يولون لها أي اهتمام بعد ظهور هذا العالم التكنولوجي؟ ثم كيف يمكن توظيف هذه المواقع لصالح هذا الموروث الثقافي؟

2- أهمية الدراسة :

لهذه الدراسة أهمية بالغة، بذكر أهم خصائص هذا الموروث اللامادي في تاريخ حياة الأفراد فتعتبر الحكاية الشعبية رمز من رموز الحياة الثقافية والاجتماعية لحياة المجتمع القبائلي، عن طريقها يقوم الأفراد بتجسيد قيم ومعايير المجتمع وتحاول نقلها بأي شكل من الأشكال إلى الأفراد مستوحاة من الطبيعة ومن الانسان ذاته في صراع بين الخير والشر، وأن هذا الأخير لا يدوم وعاقبته وخيمة، مع تبيان للفرد أن الانسان الذي يعمل الخير دائماً ينال العز والشرف والبركة، ومختلف الكرامات وكانت لهذه الحكاية وقع خاص في أذن المستمع، بأخذ العبر الذي يعمل على تقويم سلوكاته، لكن مع ظهور التكنولوجيا ووسائلها غابت تلك الجلسة العائلية الجماعية وعلاقاتها الحميمة الواقعية، وعوّضت بعلاقات اجتماعية افتراضية من خلال تلك المواقع التكنولوجية وتحوّلت الجلسة العائلية الجماعية إلى جلسات فردية. كما تتمثل أهمية هذه الدراسة من الناحية العلمية أن تكون كتنبيه للقراء في مجال التخصص أو المهتمين في هذا الجانب في اعادة النظر لهذا الموروث ودوره في حياة الأفراد والمجتمع معا.

3- تحديد مفاهيم الدراسة:

تعتبر مفاهيم البحث مفاتيح كل البحوث العلمية، على أساسها يقوم الباحث بتفسير وشرح المصطلحات التي تبنى عليها الدراسة بإعطاء الدلالة العلمية التي تشير اليها في هذه الدراسة.

أ- الحكاية الشعبية:

الحكاية الشعبية جزء لا يتجزأ من الفلكلور أو المأثور الشعبي وهي من الأجناس التعبيرية الشفوية، فهي تتميز بالتداول والانتشار بين الشعوب منذ زمن بعيد ومن جيل الى جيل، تحاكي أحوال المجتمع في مختلف الميادين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية... الخ وتصور مظاهر حياتهم على شكل قصص يقوم بها الراوي او الحكواتي أو القوال (الجوهري، الحكاية الشعبية، 2021).

ب- الحكاية الشعبية القبائلية (ماشهو):

الحكاية الشعبية القبائلية كغيرها من الحكايات الجزائرية، لكن يختلف مغزاها عن الأخرى حسب طبيعة المجتمع ونظامه الاجتماعي وشكل تضاريسه الجغرافية

السائدة فيه، كلها عوامل وأخرى تساهم في التركيبة الاجتماعية للحكاية وتصب في قالب ذلك المجتمع.

الحكاية الشعبية في المجتمع القبائلي (الأمازيغي) يطلق عليها بـ"ماشهو" وكل مجتمع من المجتمعات له تسميات معينة عند بداية الحكاية للأفراد، تروى الجدات أو كبريات السن تنقلها للأبناء فيها عبر منسوجة تارة من الواقع وتارة أخرى من الخيال وبرمز مختلفة من الطبيعة، وتحمل دلالات إنسانية فيها الخير والشر، وأن الخير مهما طال سينتصر، وفيها يتعلم الابن الصبر ويتعلم كيف يتحمل أعباء الحياة الشاقة... الخ، هدفها تنوير العقول وتكوين شخصية قوية مبنية على الأمانة والصدق والابتعاد عن الخيانة والخداع والشر والمكروكل ما هو سيء.

هذا التراث المعنوي ينتقل في سيرورة اجتماعية من جيل إلى جيل، محفوظ ومنقوش في ذاكرة الأفراد، لكن مع التغيرات الحالية أصبح لهذه الذاكرة الشعبية قطيعة ولم يكن لها الأثر الكبير في نفوس الأفراد كما كان من قبل، لأن مواقع التواصل الاجتماعي أخذت مكانها الاجتماعي والعائلي إلى حد كبير، ولم تعد تقوم بوظيفتها في وسط الأجيال كما كانت في الماضي، من العالم الخيالي إلى العالم الافتراضي وأي افتراض ينسجه هؤلاء؟

ج- مواقع التواصل الاجتماعي:

تعرف مواقع التواصل الاجتماعي بالإعلام الجديد، الذي يعرف انتشارا وحركية ديناميكية واسعة، من أداة إعلامية نصية مكتوبة إلى أداة إعلامية سمعية وبصرية لها تأثير كبير في قرارات المتأثرين واستجاباتهم، بضغوط من القوة المؤثرة التي تستخدم في تأثيرها الأنماط الشخصية للفرد (السمعي، والبصري، والحسي) باعتبار أن المتأثر وأنماطه محور مهم في عملية التأثير، مستغلة (أي القوة المؤثرة) أن السمعى سريع في قراراته لأن طاقته عالية ويتخيل ما يتحدث به أو يسمعه، والبصري حذر في قراراته لأنها مبنية على التحليل الدقيق للأوضاع، والحسي يبني قراراته على مشاعره وعواطفه المستنبطة من التجارب التي مر بها، في محاولة من أولئك المؤثرين لتغيير الآراء والمفاهيم والأفكار، والمشاعر، والمواقف، والسلوك (أثر وسائل التواصل الاجتماعي على سلوكيات وقيم الشباب من منظور التربية الإسلامية، 2016).

وتعرف كذلك على أنها وسائل تواصل والتي من خلالها ينشئ المستخدم حساب يمكنه من التواصل عبر شبكة الإنترنت مع غيره من الأشخاص إلكترونياً؛ لمشاركة المعلومات والأفكار والآراء والرسائل وغيرها من المحتوى المكتوب والمرئي والصوتي والملفات. ومن أمثلة هذه المنصات (Facebook) و (Twitter) و (Snapchat) و (Instagram) و (WhatsApp) و (YouTube)، ومنها كذلك ما يكون له جانب مهني مثل (LinkedIn)، وقد تدخل من ضمنها المدونات مثل (WordPress) و (Blogger). (سبل، وسائل التواصل الاجتماعي بين السلبيات والإيجابيات ، 2019)

4- المعالم التاريخية لنشأة وسائل التواصل الاجتماعي:

ترجع المعالم التاريخية لنشأة وسائل التواصل الاجتماعي إلى القرن التاسع عشر، تحديداً في عام 1844م عندما نجح صمويل مورس في نقل رسالة إلكترونية مُشفرة من مدينة بالتيمور إلى العاصمة الأمريكية واشنطن باستخدام جهاز التلغراف، وكانت الرسالة عبارة عن سلسلة من النقاط وأشرطة إلكترونية يتم إنشاؤها يدوياً بالضغط على الجهاز، وكانت رسالة موريس تعد المحطة الأولى للشكل البدائي لوسائل التواصل الاجتماعي حتى ظهور إحدى الشبكات التكنولوجية التي أنشأتها وزارة الدفاع الأمريكية عام 1969م، وهي شبكة وكالة مشاريع الأبحاث المتقدمة (ARPANET) التي سمحت بتشارك البيانات بين أربعة جامعات أمريكية ترتبط جميعها بذات الشبكة.

تزر فترة السبعينيات من القرن الماضي العديد من التقنيات التي كانت تُشكل نوعاً من وسائل التواصل الاجتماعي، ففي عام 1971م أُرسِلت أول رسالة بريد إلكتروني من جهاز كمبيوتر إلى آخر، ثم في عام 1978م تم إنشاء أول نظام إلكتروني يُتيح للمستخدمين التفاعل مع بعضهم عُرف بنظام لوحة البيانات وهو نظام يتم تشغيله على أجهزة كمبيوتر مُتصلة بمودم هاتف، بحيث يتمكن مستخدمو النظام من التفاعل مع بعضهم من خلال المشاركة في النقاشات الجماعية، أو ممارسة الألعاب، أو تحميل الملفات وتبادلها، ويُشبه هذا النظام إلى حدٍ كبير المُنتديات والمدونات الموجودة في الوقت الحاضر.

أما في عام 1979م ظهر نظام مُراسلة جديد عُرف باسم يوز نت، وبدأ هذا النظام بهدف التراسل ما بين كل من جامعتي ديوك ونورث كارولينا، إلا أنه سرعان ما

أصبح نظام تراسل مُعتمد بين العديد من الوكالات الحكومية والجامعات الأمريكية الأخرى، حيث سمح هذا النظام بتبادل الرسائل ضمن موضوعات أكاديمية محدّدة تُسمّى بمجموعات الأخبار، ثم طُوّر هذا النظام بشكل أكبر عام 1987م، وعلى الرغم من ظهور الأنظمة السابقة، كنظام لوحة البيانات ونظام يوز نت التي سمحت للمستخدمين بالتفاعل مع بعضهم البعض، إلّا أنّ تلك الأنظمة لم تنجح في أن تكون شبكات تواصل اجتماعي شاملة حيث كان لكلّ منها نظامها الأساسي المغلق.

لقد بدأت مواقع التواصل الاجتماعي بالظهور بفضل المحاولات العديدة لبعض الشركات ببناء شبكات التواصل الاجتماعي بالاعتماد على تكنولوجيا الويب، فعلى الرغم من وجود العديد من الوسائل التي وفّرت مُستخدميها بعض ميزات مواقع التواصل الاجتماعي، إلّا أنّ تلك المزايا لم تكن كافيةً ليُطلق عليها اسم موقع تواصل اجتماعي، واستمرّ هذا الأمر حتّى عام 1997م حين ظهر أول موقع تواصل اجتماعي فعال ومُشابه لطبيعة مواقع التواصل التي تُستخدم حالياً وهو موقع (SixDegrees) سيكس دوقراس، حيث سمح هذا الموقع لمُستخدميه بإنشاء ملفات شخصية، بالإضافة إلى إمكانية إضافة الأصدقاء، وإنشاء قوائم الاتصالات، وإرسال الرسائل إلى المُستخدمين الآخرين.

يُعتبر العقد الأول من القرن الحادي والعشرين العصر الذهبي لظهور مواقع التواصل الاجتماعي، حيث شهدت تلك الفترة ظهور معظم وسائل التواصل الاجتماعي وأكثرها انتشاراً في الوقت الحالي، فبعد ظهور موقع (SixDegrees) شهدت بداية القرن الجديد تحديداً عام 2003م ظهور موقع تواصل اجتماعي جديد هو موقع فريندستير (Friendster) الذي منح لمُستخدميه إمكانية مشاركة المحتوى والصور، ومقاطع الفيديو. كما شهد عام 2003م أيضاً إطلاق موقع تواصل اجتماعي آخر سيطر على أغلب مُستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي طُول الفترة المُمتدة من 2005-2008م، وهو موقع ماي سبيس (Myspace) الذي وفّر لمُستخدميه إمكانية لعب الألعاب الإلكترونية مع المستخدمين الآخرين إضافةً إلى المميزات الأخرى، إلّا أنّ شعبية هذا الموقع انخفضت بالتزامن مع ظهور موقع الفيسبوك.

5- ظهور مواقع التواصل الاجتماعي:

ظلّ ظهور مواقع التواصل الاجتماعي يسير بوتيرة مُتسارعة وكبيرة جداً، حيث ظهرت العديد من المواقع التي أصبحت الأشهر في الوقت الحاضر، إذ تمّ إطلاق موقع اليوتيوب (Youtube) عام 2005م بمقطع الفيديو الأول الذي وُجد عليه وهو فيديو (Me at the Zoo)، ثمّ شهد عام 2006م إطلاق موقع الفيس بوك ليكون متاحاً لجميع المستخدمين حول العالم بعد أن كان استخدامه مُقتصرّاً على طلاب جامعة هارفارد فقط؛ وذلك منذ أن أسّسه مارك زوكربيرج عام 2004م، وهكذا أصبح أحد أشهر مواقع التواصل الاجتماعي في العصر الحاضر، حيث يستخدمه ما يزيد عن 1.7 مليار مستخدم.

كما شهد العام 2005م إطلاق موقع (Reddit) الذي أصبح بمثابة منصة لتبادل الآراء والتعليقات عبر الإنترنت، وفي عام 2006م تمّ إطلاق موقع جديد من مواقع التواصل الاجتماعي وهو موقع تويتر الذي بدأ كموقع صغير للتدوين قبل أن يُصبح أحد أشهر مواقع التواصل الاجتماعي في هذا العصر، وفي نهاية العقد الذهبي تحديداً عام 2010م تمّ إطلاق منصة الإنستغرام من قبل كيفن سيستروم لتكون موقعاً يختص بمُشاركة الصور عبر الإنترنت، وقد تمّ شراء هذا الموقع من قبل شركة الفيسبوك عام 2012م، كما ظهر في نفس العام موقع التواصل الاجتماعي بينتريست (Pinterest). وهكذا لم يتوقف ظهور مواقع جديدة لوسائل التواصل الاجتماعي الى يومنا هذا.

ففي العام 2011م أطلق كلّ من إيفان شبيغل وريجي براون وبوبي مير في طلاب جامعة ستانفورد موقعاً خاصاً بمُشاركة مقاطع الفيديو القصيرة عُرف باسم سناب شات (Snapchat)، وكان آخر ظهور لأحد مواقع التواصل الاجتماعي الشهيرة في العام 2016م عندما أطلقت شركة (ByteDance) الصينية تطبيق تيك توك (TikTok) الذي وصل عدد مستخدميه في أوائل عام 2020م إلى ما يزيد عن 800 مليون مستخدم حول العالم. (السعودية، 2020).

6- أهداف الحكاية الشعبية:

تهدف الحكاية الشعبية الى تحقيق التواصل الثقافي واللغوي بين الأجيال حيث تبرز التراث الانساني على مر العصور ليتعرف كل جيل على تراث أسلافهم وثقافتهم

بتقديم نماذج من السلوك القوي وأنماط من الشخصيات تتسم بالمثّل والقيم والتي تهدف الى الاقتداء بأثرهم.

نجد غالبية الحكايات الشعبية تحمل في طياتها فضائل متعددة كالتواضع والحنان والشفقة والمساعدة والصبر والتعاطف والشجاعة والأمانة والوفاء والاخلاص والتي في مجملها تهدف الى سمو العاطفة والمشاعر والأحاسيس التي تعمل على توجيه الأطفال الى السلوك الحسن والذكاء والصدق والأمانة والمكافأة التي يتحصل عليها الإنسان الذي يقوم بالسلوك الحسن.

كما تؤثر الحكاية الشعبية تأثيراً كبيراً على مشاعر الأطفال ووجدانهم وذلك من خلال ميل الطفل الى البطل المظلوم وكراهيته للظلم. ضف الى ذلك أن الحكاية الشعبية تهدف الى تدريب الطفل على التفكير السليم لأن حلول الازمان عادة ما تأتي عن طريق الحيلة واستخدام الشخصيات الخيرة لذكائها للانتصار على القوى الشريرة.

7- آثار الحكاية الشعبية:

أ- الأثر التربوي:

تساهم الحكاية الشعبية على اعتبارها فناً من فنون أدب الأطفال في نموهم العقلي والادبي والنفسي والاجتماعي والأخلاقي ويلبي حاجاتهم الجسمية والعاطفية فضلاً عن القيم الجمالية، فهي تساعد الطفل على كسب المعارف والمهارات وتعلمه القيم النبيلة والمسالك الصحيحة ليشق طريق حياته بسلام وتطور وتقدم.

تعد الحكاية الشعبية المرآة العاكسة لعادات المجتمع وتقاليد الحياة بشقي صورها، فهي لا تقتصر على منح أفراد المجتمع الموعظة الحسنة وتعلم الصبر، بل تشير إلى العوامل السلبية والإيجابية في المجتمع والفرد، قصد إيصال المعنى والهدف كي تقترب للأذهان هدف الخير الذي تطمح إليه من خلال خيالها ووعظها دون الإخلال بالعملية التربوية العميقة النابعة من الواقع المعاش بعيداً عن الخيال والأسطورة. وأنّ الحياة اليومية ليس بضرب العصي السحرية وإنما هي حركة وكفاح ونضال على الإنسان أن يعيشه فعلاً. (عباس، 1985).

تعرض الحكاية الشعبية أيضاً فصولاً أخلاقية يتلقى الطفل دروساً في المبادئ والتضحية من طرف أبطال ورجال الخير لينحو نحوهم في خدمة الخالق والعائلة

والوطن، فتكون الحكاية دروسا ووعظا مباشرا وايضاها لأُمور تاريخية، واستعراضا للخير والشر ودفع الطفل للاندفاع نحو الخير ونبد الشر بالنصيحة المباشرة وغير المباشرة.

ب- السلوك الاجتماعي في الحكاية الشعبية:

معظم الحكايات الشعبية تعكس لنا دور العلاقات الانسانية والاجتماعية التي تتفاعل فيما بينها نتيجة التعاون الاجتماعي والترابط الأسري والتقارب العائلي، ومن أهم هاته العلاقات ودية نجدها داخل الأسرة والعلاقات القرابية وعلاقات المصلحة. فنجد الزواج في الحكاية الشعبية هو من أهم أسس الحياة لما له أهمية بين أفراد المجتمع، اعتمدت الحكاية أيضا على سلوكات الشراكة في العمل الفلاحي مثل الغولة ومقيدش، حكاية الحيلة والنية... فالحياة الواقعية قائمة على مثل هذا التعاون، إذ يشترك الانسان والحيوان في كل ما يتصل بالزراعة وعليه فللحيوان دوره المهم في الحياة والمجتمع ، مما جعله يظهر في الكثير من الحكايات الشعبية.

ومن أهم النماذج التي تكشف عنها الحكاية الشعبية هي المعتقد الديني الراسخ في الوعي الاجتماعي للفرد، فيرتبط أبطالها ارتباطا وثيقا بالتصورات الدينية كالعناية الالهية التي تساعد الابطال على الانتصار والفوز والنجاح.

أما حكايات الأولياء والأضرحة فتعد من أهم المعتقدات الشعبية التي مازالت حاضرة في ذهنيات الشعب الجزائري، فهي محل اعتقادهم التي تسند الى الاولياء من الاعمال الخارقة لحكاية سيدي امحمد السعدي تتحدث عن أحد الأولياء الصالحين وهو رجل يقتدى به في الوسط الجزائري.

ج- القيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية:

تقدم لنا الحكاية الشعبية رسائل عدّة ذات قيم إنسانية وأخلاقية وتربوية مجملها مرتبطة بالحياة الاجتماعية، ونجدها في معظمها تتناول الصراع بين الخير والشر، وما يجعل منها وعاء حاملا للقيم التي تتعدد وتتنوع بتنوع الشخصيات بين الانسان والحيوان، بالإضافة إلى حكايات تربوية تبرز سلوكات اجتماعية تؤكد فيها قيم الاحسان كما جاء في حكاية(ازم مع العجوز) السبع مع العجوز.

د- صراع الهوية:

تفطنت الشعوب مع بداية القرن التاسع عشر إلى خطر الحكاية الشعبية ودورها المحوري في الحفاظ على الهوية القومية وحفظها من الذوبان والتلاشي أمام طفرة وسائل الإعلام ومحاولات دول عظمى طمس هويات الشعوب وإذابة خصوصياتها وتنميطها وإلغاء تاريخها حتى يسهل ابتلاعها.

قام الأخوان جاكوب وفلمم الألمان على جمع الكثير من الحكايات الشعبية كانت بعضها ذات صلة بألف ليلة و ليلة وكليلة ودمنة، والأقزام السبعة، وصاحبة الرداء الأحمر، وسندريلا، وهي حكايات جمعها من النساء الألمانيات حيث كن يرونها لأطفالهن حول المدافئ في البيوت والأكوخ في ليالي الشتاء، وكانت غايتهم من ذلك تأصيل الهوية الألمانية والحفاظ عليها من الذوبان، واعترفت الحكومة الألمانية بخطورة هذا الجهد الذي بذله الأخوان وماله من دور في تأصيل ثقافة الشعب الألماني فكرمتهما خير تكريم حيث أقامت متحفا للتراث يحمل اسمهما. (اللطيف، 2003).

هـ- التنشئة الاجتماعية:

تعد الحكاية الشعبية أحد أهم مصادر التنشئة الاجتماعية للطفل، حيث تزخر بالعديد من القيم والأعراف والتقاليد التي تسهم في خلق طفل سوي نفسيا وقادر على التكيف مع مجتمعه، كما تتسم الحكايات بقربها من وجدان الأطفال، فلا يوجد طفل إلا ويسعد بالاستماع إلى تلك الحكايات لما تتسم به من بساطة في التركيب وخلوها من التعقيدات، لذلك يسعى العديد من كتاب الدراما ومسرح الطفل لاستلهام الحكايات الشعبية في أعمالهم المسرحية.

ويمكن أن نستخلص أهمية الحكايات الشعبية ودورها في التنشئة الاجتماعية للطفل فيما يلي:

- إمتاع الطفل وتسليته إذ تهدف الحكايات الشعبية إلى التسلية والترفيه وبث المتعة في نفوس الأطفال، وتظل عالقة في أذهانهم لفترة طويلة من العمر، وما تبثه من قيم وسلوكيات ومعارف يستمتعون بها ويحرصون على متابعتها.

- كما تزخر الحكايات الشعبية بالعديد من القصص التي تقدم للأطفال المتعة والفكاهة والتسلية، كالحكايات المرحية وحكايات الحمقى والمغفلين والنوادر، حيث تتناول تلك

الحكايات شخصيات تتسم بالغباء والحمق في تصرفاتها وأفعالها مما يجعلها مثارا للسخرية، فالأطفال يسخرون من تلك الشخصيات ولكنهم في الوقت نفسه يتعلمون من خلالها. (اللطيف، 2003).

8- الحكاية الشعبية القبائلية بين إيجابيات وسلبيات مواقع التواصل

الاجتماعي:

يؤثر التقدم التكنولوجي بشكل كبير على جوانب كثيرة من حياتنا، فهذا الأثر يكمن في تلك التغيرات التي تحدث في نمط حياة الأفراد وما يصحبه من تغيير في نمط التفكير. ومع الاعتماد المتزايد على الانترنت أصبح استخدام مواقع التواصل الاجتماعي والاعتماد عليها جزءا من العملية الاتصالية اليومية من مختلف مناطق العالم فلكل اختراع له سلبياته وإيجابياته:

أ- الإيجابيات:

يمكن أن تكون مواقع التواصل الاجتماعي فرصة ليعترف الأفراد الآخرين عن هذا التراث اللامادي للمجتمع القبائلي، لأن من مزايا هذه المواقع أنها تتيح فرصة للأفراد في التعبير عن أفكارهم وأن يجمع المهتمين لها من كل أنحاء العالم، ويحصل على الدعم والمشاركة لأن هذه الحكايات الشعبية عالمية، وكل مجتمعات العالم مهتمة بهذا الجزء الهام من تراثها الشعبي، وكل مجتمع له نكهة خاصة في كيفية ترويجها وتفسيرها وحكايتها، وأن يوظف هذه المواقع لصالح هذا الموروث الشعبي الأصيل الذي يعبر عن المحتوى الحقيقي ولو أن في بعض الأحيان ضرب من الخيال لكنه يبقى من خيال هذا المجتمع وطريقة تفكيره في الحياة، لإبراز مهاراته وتوثيق إنجازاته في هذا العمل الاجتماعي. ومن إيجابيات مواقع التواصل الاجتماعي أنها تفتح آفاق جديدة وكبيرة للأفكار الرائدة ولتكون هناك طريقة مثالية معبرة تعمل على إحياء هذه الحكاية الشعبية القبائلية وتدخل من بابها الواسع للأدب العالمي فتندسج من خلالها فلكلورا اجتماعيا وواقعيا تعرف من خلاله بتراث المنطقة كموروث يستحق الاهتمام، وهو ما يسعى بالتسويق الفكري الإلكتروني عبر مواقع التواصل الاجتماعي عن طريق جمع هذا الموروث وحفظه.

ب- السلبيات:

من سلبيات هذه المواقع أنها تعمل على إنتاج العزلة إن صح التعبير ووهم التواصل الافتراضي، ويصل الأمر إلى أن تجد عائلة في بيت واحد تتواصل من خلال وسائل التواصل الاجتماعي أو أن تجد عوائل يقضي أفرادها ساعات في استخدام الهواتف دون أي تواصل شخصي فعّال، ويكتفي الجميع بالتواصل الافتراضي. وقد تؤدي مثل هذه الممارسات إلى ضعف تطور الشخص اجتماعيا بسبب عدم قدرته على التفاعل الإيجابي والطبيعي مع جوانب الحياة المختلفة وهذا سينعكس سلبا على تطور العلاقات الأسرية والاجتماعية.

وبعدما كانت الأسرة في الماضي تجمعهم هذه الحكاية وتكون أسرة واحدة تتفاعل مع بعضها البعض وتتعلم كيف تتعامل مع الغير ومع الطبيعة ومصاعبها، نجد اليوم تراخي لهذه العلاقة ولم يعد للحكاية مكان كالذي كان في السابق، فهذه القطيعة تنسي إرث الأجداد وذاكرة المجتمع. لأن أغلب المستخدمين لهذه المواقع هم من الأجيال الصغيرة وهذا حسب إحصائيات تم الإشارة إليها في مجلة الموسوم عنوانها بـ (Business Insider) أن كثير من الأفراد وخاصة المراهقين، يقضون ما بين 13 و18 ساعة حوالى 9 ساعات يوميا في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي. وذلك أكثر من ساعات النوم والطعام والشراب وغيرها من الأنشطة! حتى يصل البعض إلى أنه لا يستطيع قضاء ساعة كاملة بدون تصفح مواقع التواصل الاجتماعي. وهذا يؤثر بشكل كبير وسلي على جوانب الحياة الأخرى، حيث أنه يتم قضاء الوقت في استخدام الإنترنت على حساب أوقات العائلة والعمل والدراسة بلا شعور. والإدمان على استخدام هذه المواقع يؤثر كذلك على تركيزنا بشكل عام ويسبب تشتت التفكير ولا يكون هناك مكان للتجمعات العائلية ولا للحكي الشعبي أثر لذلك. (سبل، وسائل التواصل الاجتماعي بين السلبيات والايجابيات، 2019).

9- المعايير والقيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية القبائلية: (أحمد، 2006)

تؤمن الحكاية الشعبية بضرورة تقويم الفرد ليصير صالحا للجماعة مدافعا عن قيمها ومثلها الخلقية والاجتماعية حتى يضمن استمراره في محيطه، ولهذا لم تكتف الحكاية بتصوير السلوكيات الاجتماعية والاقتصادية والأخبار التاريخية، ولم تقف عند تحقيق الرغبات، وإنما ذهبت إلى أبعد من ذلك حينما أبلغتنا برسائل ذات قيم

إنسانية، أخلاقية وتربوية، مجملها مرتبط بالحياة الاجتماعية، ولهذا يمكننا اعتبارها نصا إنسانيا. ولذلك نجد في معظم حكاياتنا الشعبية صراعا بين قوى الظلم والعدل، والخير والشر مثلما تشير إليه حكايتنا "لونجة مولدة سبع سالف" و"بقرة اليتامى" اللتان تؤكدان لنا قيمة أفراد الأسرة في المجتمع ومكانة كل فرد داخلها كقيم التعاون والحب، التسامح والصبر... الخ. ومن أهم الحكايات الشعبية التي تهدف الى الكشف عن عيوب الإنسان وظلمه "حكايات الحيوان" مثل حكاية "خنيفة لالة نسا" و"القطيط والفوير" و"المعزة الصينية" وهي حكايات رمزية تهدف إلى تشبيه الإنسان ببعض الحيوانات التي عُرفت عنها سلوكيات غريزية مميزة مثل: الصراع بين الحيوان الأليف والمتوحش، الحيوان القوي والضعيف، الذكي والمغفل. إنَّ مضمون الحدث والسلوك في الحكاية يحمل بداخله العديد من القيم الإيجابية والسلبية المتداخلة كقيمة الامتثال لوصية الوالدين وقيمة محاربة الظلم والقهر، كظلم الصقر القوي للصقر الضعيف في حكاية "عشبة خضار"، إلى جانب قيمة احترام خصوصية الآخرين، وهذا ما يجعل القيم الأخلاقية والتربوية واضحة ومتعددة في الحكايات الشعبية، وما يجعل منها وعاء حاملا للقيم التي تتعدد وتتنوع بتنوع الشخصيات بين الإنسان والحيوان. بالإضافة إلى حكايات تربوية تبرز سلوكيات اجتماعية تؤكد فيها قيم الإحسان كما جاء في حكاية "كُل شي يَبْرا وكَلَامُ السُّوء مَا يَبْرا". نقلا عن: (أحمد، 2006).

إنَّ الحضور الكثيف للخطاب الأخلاقي في الحكاية يعزّز منهج الدرس التربوي والتعليمي والتثقيفي الهادف في مجمله إلى تعميق قيم الخير ونبذ الشر؛ إذ استطاع النص الحكائي أن يعالج هذه القضية بطريقة فنيّة، ويحوّل المستمع إلى متفرج على خطوط سير الأحداث دون أن يسأل لماذا؟ لأن الوسائل التي توصل إلى الغايات ظاهرة أمامه ولا يحتاج إلى تحليل كثير... فالزواج بالأميرة الجميلة أو الحصول على نصف المملكة هو في الحقيقة جزءٌ تقدمه الجماعة التي يرمز إليها بالسلطان أو الأب لتضحيته في سبيلها أو في سبيل أحد رموزها لذلك تعلي من شأنه وتضعه في مكانه الملائم. وبالمقابل فإنَّ عمل الشرّ يؤدي إلى أسوء العواقب، وهذا ما يتجسد في شخصية اليتيمة المظلومة التي تتزوج في النهاية من ابن السلطان والطفل المظلوم الذي يتفوق على جميع إخوته ويهزم الغولة في حكاية "بقرة اليتامى"، ونجد الكثير من تلك الحالات المتشابهة التي يعاقب فيها المسيء وينتصر المظلوم.

ولم تكتف الحكاية برصد القيم الأسرية والاجتماعية وإنما تعدت ذلك إلى القيم الاقتصادية والسياسية، ولهذا تكشف لنا الحكاية العديد من النماذج التي تحث على العمل، التكافل والعدالة الاجتماعية والسياسية ولاسيما الحكايات التي تتحدث عن قساوة الحكام والسلاطين، فأظهرتهم على حقيقة أمرهم وكشفت عيوبهم، فهي ترى أنهم ليسوا أهلاً لتولي تلك المناصب وأفسحت المجال لأفراد الشعب بأن يحلوا محلهم كحكاية "هارون الرشيد" و"جازية ودياب" وقضت على سلطة الحكم الوراثي بين أفراد الأسرة الواحدة وبذلك عبرت عن وضعية "الحكم والسلطة" بتجسيد قيم العدل والمساواة بين جميع أفراد الشعب.

وعليه لا يمكننا مهما بلغنا من أمر أن نلّم بكل القيم التي تناولتها الحكاية الشعبية لغزاتها خاصة إذا كان الهدف الحقيقي من وراء سردها هو تحقيق نظام اجتماعي متوازن يسعى إلى بث قيم العدل والحرية والمساواة والإخاء مع مختلف شرائح المجتمع. وعليه، لم تلق الطبقة في الحكاية الشعبية تجاوباً ولا تعاطفاً، ولم تجعلها من القيم الأخلاقية السامية بحيث حاولت بمختلف الأساليب إغائها. (صليحة، 2013).

الخاتمة:

من الضروري على الفرد أن يستوعب أن مواقع التواصل الاجتماعي في العصر الحالي ليست مجرد أدوات ثانوية، وأن دورها يتنامى بشكل كبير ومؤثر، ولا ينفصل عن الواقع ويكتفي بالواقع الافتراضي، بل أن يكون الفرد متيقظاً، لأن المحتوى المقدم من أقوى وسائل التأثير الشخصية والإعلامية، سواء كان مكتوباً أم مرئياً أم صوتياً، وأن يجعل وسائل التواصل الاجتماعي وسيلة للوصول لأشخاص مؤثرين، والتواصل معهم يؤدي إلى الحصول على الدعم لأفكارك ومشاريعك بما يخدم أهدافك الشخصية والمجتمعية، فالحكاية الشعبية ليست مجرد أقاويل، وورودها لم يكن صدفة، بل لديها مغزى عميق عمق الهدف الذي يسعى إليه المجتمع، وأن لا تكون هناك قطيعة لهذا الموروث الثقافي والمجتمع، ويجب أن تستمر وظيفته بين الأفراد ولا يموت هذا الحس المعنوي الذي يساهم بشكل قياسي في تكوين شخصية الفرد. (سبل، وسائل التواصل الاجتماعي بين السلبيات والإيجابيات، 2019).

- قائمة المراجع:

- الكتب:

- عزوي أمحمد. (2006). القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس. القاهرة: سلسلة الدراسات الشعبية.
- فاضل عباس. (1985). الحكاية الساحرة، دراسة في أدب الأطفال. مطبعة اتحاد الكتاب العرب.

- المجلات:

- سنوسي صليحة. (2013). السلك الاجتماعي والقيم الاخلاقية في الحكاية الشعبية في الغرب الجزائري. انسانيات المجلة الجزائرية في الانثربولوجية والعلوم الاجتماعية.
- شاكرب عبد اللطيف. (عدد 51 يونيو، 2003). الحكاية الشعبية ودورها في تنمية الحس الجمالي والفني لدى الطفل . مجلة الفنون الشعبية ، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- المراجع الالكترونية:

- أثر وسائل التواصل الاجتماعي على سلوكيات وقيم الشباب من منظور التربية الاسلامية. (يوليو، 2016). مجلة كلية التربية(169).

<https://www.theses-algerie.com>

- الحكاية الشعبية الخطر الذي يجب الانتباه اليه. (الاحد 26 سبتمبر 2021 بالتصرف). صحيفة العرب.

- بوابة سبل. (2019). وسائل التواصل الاجتماعي بين الايجابيات والسلبيات.

<https://subol.sa>

- صابرين السعو. (28 12، 2020). نشأة مواقع التواصل الاجتماعي.

<https://mawdoo3.com>

